عدد 45 - جوان 2016 ،المجلد ب ص.ص 231- 240

تيمة الجسد في الخطاب النّقدي العربيّ المعاصر

يمينة بن سويكي
كليّة الآداب و اللّغات
جامعة أم البواقي

ملخص:

تعدّ تيمة " الجسد " من أكبر التّيمات تداولا في خطابنا النّقديّ العربيّ المعاصر ، إذ نجدها حاضرة في مدوّنات الشّعراء والرّوائيين وكذا في أنواع الخطابات الأخرى ؛ الاجتماعية والإعلانية الإشهارية و الثّقافية بصفة عامة.

لذلك جاءت هذه الدّراسة المتواضعة محاولة للوقوف على دلالات هذه التيّمة " الجسد" وتتبّع استعمالاتها عند مجموعة من النّقاد ، وهي دراسة تدخل في مجال ما يسمّى بنقد النّقد .

Résumé :

Le thème de corps est un grand thème négociés dans le discours de contemporain critique arabe , que nous trouvons actuellement dans les codes de poètes et romanciers , ainsi que dans d'autres types de discours ; Publicité , sociale et culturelle en général , si cette modeste étude était une tentative pour découvrir les implications de ce thèmes " corps " et suivez le au un groupe de critiques , une étude d'intervention dans le domaine de la soi-disant critique de la critique

مقدّمة:

نظرا لما يحظى به الجسد من أهميّة في الخطاب الدّيني والاجتماعيّ والثّقافيّ ، فقد استقطب اهتمام العلماء والدّارسين عبر الزّمن حيث تناوله كلّ من زاوية معيّنة ، إذ شكّل مصطلح الجسد إشكاليّة في توظيفه عند النّقاد المعاصرين ، فاختلفت مفاهيمهم له باختلاف البيئة والثّقافة وزاويّة الاشتغال عليه ، ممّا جعلنيّ أتساءل حول مفهوم الجسد في اللّغة وفي الاصطلاح وعن كيفية توظيفه أو الاشتغال عليه في الخطاب النّقدي العربيّ المعاصر ؟.

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر2016

نظرا لما يحظى به الجسد من أهميّة في الخطاب الدّيني والاجتماعيّ والثّقافيّ ، فقد استقطب اهتمام العلماء والدّارسين عبر الزّمن حيث تناوله كلّ من زاوية معيّنة ، إذ شكّل مصطلح الجسد إشكاليّة في توظيفه عند النّقاد المعاصرين ، فاختلفت مفاهيمهم له باختلاف البيئة والثّقافة وزاويّة الاشتغال عليه ، ممّا جعلنيّ أتساءل حول مفهوم الجسد في اللّغة وفي الاصطلاح وعن كيفية توظيفه أو الاشتغال عليه في الخطاب النّقدي العربيّ المعاصر ؟.

1/ الجسد في اللّغة :

ورد مصطلح الجسد في لسان العرب لابن منظور بمعنى: " جسم الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية ، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض والجسد : البدن، تقول منه : تجسّد ، كما تقول من الجسم : تجسّم[1] .

للجسد والجسم والبدن عند ابن منظور دلالة واحدة تختصّ بالإنسان دون غيره من مخلوقات الله ، " وقد يقال للملائكة والجنّ جسد ؛ غيره : وكلّ خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجنّ ممّا يعقل ، فهو جسد[2].

لايطلق ابن سيّدة لفظ الجسد على الإنسان فقط بل كذلك على الملائكة والجنّ ممّن يعقل ، ورغم أنّ الحيوان مخلوق إلاهي كذلك ، إلاّ أنّه لا يسمّى جسدا .

لكن معجم الصّحاح للجوهريّ يضيف معاني أخرى لمصطلح الجسد إذ يطلقه على " الزعفران أو نحوه من الصّبغ ، وهو الدمّ أيضا[3].

إضافة إلى الإنسان والجنّ والملائكة نجد الجسد يطلق على الزعفران ونحوه من الصّبغ وحتّى على الدّم ، وبذلك تتوسّع دلالة الجسد في استعمال العرب للغتهم ، ويمكننا القول أنّ مصطلح الجسد يدخل فيما يسمّى عند العرب بظاهرة المشترك اللّفظي ، وفي لغتنا المعاصرة يعدّ " الجسد (corps) هو الجسم والبدن [4] هي ثلاث مصطلحات في المنهل الوسيط تحمل الدّلالة نفسها .

في معجم لاروس الفرنسيّ لسنة 2014 ترد كلمة الجسد بدلالات متعدّدة ومتباينة

في الآن ذاته إذ نجد (corps) هو " الوجود الماديّ للإنسان أو الحيوان ، سواء كان حيّ أو ميّتا ، وقد يطلق على أعضاء من جسمه ، وكذلك على الأمراض التّي تهاجم الجسم البشريّ، وعلى الجثث ، وقطع الغيار، ومجلس الشّيوخ ، ومجموعة صغيرة من القوّات..[5] ، وعلى غير ما ذهبت إليه لغتنا العربيّة في استعمالاتها لكلمة جسد التّي تطلق على المخلوقات الإلاهيّة من إنسان وملائكة وجن ولون ، تتوسّع اللّغة الفرنسيّة في استعمال مصطلح الجسد (corps) اسما لكثير من الأشياء بما فيها الحيوان والجثث وقطع الغيار وبعض الهيئات مثل مجلس الشّيوخ والمجموعة الصّغيرة من القوّات .

هذا عن تتبّع كلمة جسد في اللّغة ، حيث وجدناها تأخذ دلالات مختلفة ولا تكاد تستقرّ على معنى واحد في العربيّة والفرنسيّة على حدّ سواء، حريّ بنا بعد هذا أن نبحث في الكلمة من جهة الاصطلاح أيضا للوقوف على دلالاتها المتشابهة أو المختلفة ولمعرفة كيفيّة توظيف الدّارسين لها ، فهل وظّفت بمعنى محدّد أم بقي حالها زئبقيّ كما هو عند أهل اللّغة؟.

2/ الجسد في الاصطلاح :

في سؤال عمّا هو الجسد يجيبنا أحد النقّاد بأنّه : " يمكننا البدء بتعريف الجسد كشيئ مادي موجود في الزّمان والمكان ، وكشيئ واقعيّ خاضع لبعض القوانين الفيزيائية ، كما يمكننا تعريفه أيضا كمعطى موضوعي بالنّسبة لبعض الدّراسات الطبيّة والفيزيولوجية ، التّي تتعامل معه كمادة يمكن فتحها تقطيعها والتّحكم فيها ... كما يعتبر الجسد أيضا أحد أبرز الوسائل التّعبيريّة لدى الإنسان ، وبالتّالي أحد مرتكزات التّواصل العاطفيّ المؤسّس للعلاقات ما بين الذّوات ، فالجسد عضو معبّر "[6] ، إنّ ارتباط التّعبير بالجسد

فكرة جوهرية تبرز لنا الحكمة التي من أجلها خلق المولى عزّ وجلّ هذا الجسد الإنساني والمتمثّلة في التّعبير والتّواصل أي حاجة الإنسان لأخيه الإنسان وأنّ الإنسان كائن إجتماعيّ بالدرجة الأولى لا يمكنه أن يعيش وحيدا في عزلة بجسده عن أخيه الإنسان ، لذلك " في كلّ مكان توجد الأجسام ؛ جسم الحجر ، جسم الرّمل ، جسم المنزل ، جسم المقهى ، جسم الحديقة ، جسم المرأة ، جسم الرّجل ، جسم البحر ، جسم النّهر ، وغير ذلك من الأجسام ،... "[7] ويبدو أنّ كلّها أجسام خلقت من أجل خدمة جسمين فقط هما جسم المرأة وجسم الرّجل .

لقد تساءل الدّارس عن الجسد ثمّ ذهب إلى استعمال الجسم في تعريفه ؛ فهل الجسد هو الجسم ؟ كما رأينا ذلك في اللّغة أم أنّ هناك فرقا بينهما ؟ ، " يمكن تعريف الجسم بأنّه شيئ له شكل وثقل ولون وطعم وطول وعرض ، أمّا الجسد فيمكن تعريفه بأنّه كينونة رمزيّة وإيحائيّة وإشاريّة وأيقونة تضاف إلى الأجسام من خلال تمثيل الإنسان لها لتحقّق وجودها المرئيّ الذّي يمكن أن يكون هنا أوهناك ، ما يعني أنّ الجسد لا يعدو أن يكون قيمة مضافة إلى واقع الأجسام ، وبالتّالي إلى الواقع برّمته ، وبحسب قوّة حضور الجسد فيه .[8]

نخلص من خلال هذا المفهوم إلى أنّ الجسم ذو طبيعة ماديّة أماّ الجسد فلا يعدو أن يكون قيمة مضافة إليه ، ومن ثمّ يمكننا القول أنّه لا يكون الجسم دون جسد ولا الجسد دون جسم، فهما يكملاّن بعضهما ، ولا يمكن لأحدهما أن يكون دون الآخر .

3/تقسيمات الجسد :

حاول بعض من الدّارسين تقسيم الجسد إلى أقسام مختلفة، أبرزها :

أ/ الجسد الدّينيّ : الّذي يمارس مجموعة من الشّعائر العبادية مصحوبة بخطابات مسكوكة لهذا الغرض .

ب/ الجسد اليوميّ الاجتماعيّ : إنّ المعاملات الّتي تميّزه هنا تحوّل الحياة الاجتماعيّة إلى مختبر دائم لممارسة قدسيّة العلاقات الاجتماعيّة .

ج / الجسد الشّخصيّ : الّذي يفقد طابعه الذّاتيّ باندماجه المباشر في سمفونيّة القدسيّ الّتي يضعها الإسلام على الوجود الاجتماعيّ .[9]

انطلاقا من هذه التّقسيمات يمكننا القول : أنّ هناك جسد عام ينقسم إلى ثلاث أجساد حسب الوظيفة ؛ جسد دينيّ يقوم بوظيفة العبادات ، وجسد يوميّ يختصّ بالعلاقات الاجتماعيّة مع أجساد أخرى ، وجسد شخصيّ يفقد خصوصيته باندماجه في الجسد الاجتماعيّ وهذا الأخير هو المقدّس لا سيّما عند المسلمين .

4/ الكتابة بالجسد (الجسد الأنثويّ) :

المناداة بالتّميّز والاختلاف سمة بارزة لدى مختلف الحركات التي تثور من أجل إثبات ذاتها وكينونتها ، " لقد كان شهر ماي من سنة 1968 بداية لمرحلة وصفت بأنّها مرحلة من أجل الجسد ، رفعت فيه سيمون دي بوفوار(simone de beauvoire) شعارها التّاريخيّ عندما صرخت بأنّ : "هذا الجسد جسدنا ونحن نريد أن نسكنه بحقّ ونتصرّف فيه بحرّية " ، وقد جعلت هذه المرحلة من الجسد أحد وسائطها الرّسمية لتخطّي العديد من القيود والتراتبيات الرّمزيّة ، ولم يكن من سبب لتحرير الجسد المهان سوى تحرّره ليصبح شريكا غير مرتقب لتطوّر الذّات ، فمع تطوّر فعل تحرير الجسد داخل فضاءات ثقافيّة وعاطفيّة ، تولّدت الرّغبة في نسج مفاهيم عامة لوصف جديد حياة المرأة ."[10] الجسد جسدها هي

(المرأة) ، لكنّها لم تكن تتصرّف فيه كما تشاء ، ممّا جعلها تنادي بالحرّية والمساواة لتفعل بجسدها ما تشاء ، " كما تجدر الإشارة إلى المساهمة الفعّالة للحركات النّسائيّة في إعادة اكتشاف الجسد ، باعتباره المنطلق الأسّاسيّ لإعادة بناء الهويّة النّسائيّة ، فلقد تولّت هذه الجمعيات النّسائيّة الّتي عرفت تحت اسم

النّسوية (les feministes) منذ نهاية السّتينيات ، برفع دعوتها ضدّ تهميش ومسح الجسد الأنثويّ من التّاريخ ، معتبرة إيّاه الوسيلة الأساسيّة والمنبع الأوّل للحياة ، مبرزة أهميّة الجسد الأنثويّ داخل الحياة اليوميّة سواء في بعدها الماديّ الوظيفيّ أو الرّمزيّ المرتبط بجنسيّة النّساء ، رافضة حصر الوجود الأنثويّ في وظائف الجسد البيولوجيّة ."[11] هو وعي متميّز منهّن حين نادين بالتّحرّر للحدّ من الاعتقاد السّائد بأنّ جسدهّن يخصّ وظيفتهنّ البيولوجيّة الأنثويّة فقط .

" ومنذ التّسعينيات من القرن الماضيّ بدأ مصطلح الكتابة النّسائيّة يشكّل حضوره القويّ في المنظومة النّقدية العربيّة بعد التّراجع عن رفضه ، كما وقع للنّاقدة لطيفة الزّيات في الملتقى الثّاني للإبداع النّسائي ، بمدينة فاس بتاريخ 09-11 مارس 1990 ، لقد أعلنت الزّيات رفضها لهذا المصطلح في فترة السّتينيات ، لكنّها وبمرور الزّمن أدركت أنّ الإقرار بالمساواة بين الرّجل والمرأة يتضمّن الإقرار بالاختلاف ، من حيث أنّه لا يعني التّفضيل ، بل حضور الخصوصية التي يضمنها بشكل قويّ حضور الجسد ، وشرط الجسد هذا يفترض وجود خصوصية من حيث الموضوع واللّغة داخل النّص الأدبيّ النّسائيّ حيث يلتقي الرّجل الكاتب والمرأة الكاتبة في اللّغة التّعبيريّة ، وقد لا يلتقيان في اللّغة المرتبطة بالذّات ببعدها الميثولوجيّ "[12] ، اختلاف الجسد بين المرأة والرّجل يستدعي اختلاف الكتابة والإبداع واختلاف المصير ، وقد يكون الاهتمام بدور الأمّ فقط هو سبب الحكم على المرأة بأنّها لا تحسن دورا سواه في حياتها ، لذلك تنبّهت تلك النّسوة وطالبن بالاهتمام بكيانهنّ الّذي يعدّ نصف المجتمع ، و " لم يكن هدف جلّ هذه الحركات النّسائيّة إبراز خصوصيّة الجسد الأنثويّ و"هيكلته" الطّبيعيّة بقدر ما كان هدفها الدّعوة إلى تجاوز ذلك التّصوّر الضيّق الّذي كان يحصر النّساء ويلخّص وجودهنّ ضمن دورة حياتيّة ثلاثيّة : إمرأة / طبيعة / أمومة".[13] وكأنّ الطّبيعة هي التّي جنت على المرأة فاختصرت دورها في الأمومة فقط ، و" لم يبدأ التمثّل المعاصر للجسد إلاّ بعد إحداث القطيعة مع المعارف الكلاسيكيّة من جهة، والمعارف الشّعبية التّقليدية المتوارثة من جهة ثانيّة ، لكي يعاد بناؤه وفقا لعلوم متخصّصة وعلى رأسها المعرفة البيوطبيّة .

ولقد تمّ ذلك ابتداء من فترة السّتينيات وبروز مجموعة من الحركات الجسدويّة (mouvements corporeites) ، هذه الأخيرة الّتي منحت للجسد أولوية عاطفيّة وأكسيولوجيّة ، بصفة خاصة في صيحات الموضا والسّنما والأدب ."[14]

هذه الفنون هي لغات في حدّ ذاتها بإمكان العقل أن يعبّر بها عمّا يريد وعمّا يكره ، " إنّ كتابة الجسد الأنثويّ تفضح المركزيّة الذكوريّة في كلّ أشكالها الماديّة والأيديولوجيّة المختفيّة باستمرار داخل اللّغة الّتي أحكمت خناق الذّات الأنثويّة ." [15] فهل يا ترى كانت اللّغة متواطئة مع الرّجل عبر التّاريخ فقط من أجل تضييق الخناق على الجسد الأنثويّ ؟

كثيرا ما قيل عن المرأة أنّها تكتب بجسدها ، أو أنّها تقلّد بفعل كتابتها جسدا آخر هو جسد الرّجل ، " إنّ الكتابة بالجسد تكسب الذّات النّسويّة هويّتها ، تلك الهويّة الّتي تنقاد مرغمة للسّائد الاجتماعيّ والأعراف المجتمعيّة ، هكذا تتأرجح ذاتيّة المرأة بين الخضوع للأعراف الاجتماعيّة وبين رغبات الجسد "[16] ، هو صراع تعيشه المرأة الكاتبة بوعي كبير بين ما يمليه عليها المجتمع وما يمليه عليها الجسد (جسدها الأنثويّ) ، وكأنّه كتب عليها أن تعيش صراعا بين جسدين مختلفين ؛ أحدهما يتمثّل في جسد المجتمع وما يمليه من أعراف تخصّ وظيفتها وكيانها والآخر جسد خاص هو ذاتها وما يمليه عليها ضميرها من المطالبة بالحريّة وإثبات الذّات ، " إنّ الجسد هو واحد من أهمّ مفاتيح شخصيّة المرأة "[17] ، ويمكن اعتباره خطابا طبيعيّا مزوّدا بقنوات اتّصال فقط المرأة من تملك أسراره وتحسن فكّ شفراته ، " إنّ الجسد الأنثويّ خطاب يتلقّاه المتلقّي باعتباره ذاتا خارج القيم ، مستعملا خلال القراءة المنطق

الذكوريّ الّذي يشكّل مركزا أساسيّا للعنف الرّمزيّ ، وإذ يعيش متخيّل المرأة هذا التعدّد التّأويليّ ، يعيش الجسد الأنثويّ بين الحجم الثّقافيّ والمعطى الوظيفيّ ، فالجسد كلّ وأجزاء ، فالجزء عند المتلقّي يحيل على الكلّ ، والكلّ يقوم بدوره في تطعيم الصّورة الذّهنية الّتي توحي بالكلّ من خلال الجزء ."[18]

يعدّ جسد المرأة خطابا في حدّ ذاته ، وحينما تكتب المرأة فهي تشكّل خطابا آخر ، لكن في الحقيقة كلا الخطابين لا ينفصلان عن بعضهما رؤية الجزء منهما تحيلنا عل رؤية الكلّ فيهما . فالكيان واحد (جسد و خطاب) ، " فالجسد "عضو معبّر" يمكّننا من التّعبير عن طريق الحركات والإيماءات ، عن انتمائنا الجنسيّ ، وعن أصولنا العرقية وانتماءاتنا الاجتماعيّة ، كما يسمح بتواصلنا مع العالم المحيط بنا عن طريق الحواس ، ولا يقف التّعبير الجسديّ عند حدود التّمييز بين الثّقافات ، وإنّما يتجاوز ذلك معلنا عن الفوارق بين الأجيال والأجناس ، ممّا يفسّر استعمال الإنسان منذ القديم للجسد واختياره كوسيلة فعّالة للتّعبير والتّواصل ."[19] وتأتي لغة التّواصل سواء كانت شفاهيّة سواء كانت مكتوبة في المرتبة الثّانية والثّالثة من لغات التّواصل الّتي أبدعها الإنسان (1/لغة الجسد 2/لغة التّواصل الشّفاهيّ 3/لغة التّواصل الكتابيّ)، ولمّا كانت اللّغة ترتبط بالجنس أي لغة الرّجل تختلف عن لغة المرأة ، " ساهم الجسد في الإجابة على معظم التّساؤلات ، كما ساهم في بناء المفهوم الحقيقيّ للتّذكير والتّأنيث ، حيث تحوّل بوساطته اعتبار الجسد الأنثويّ قيمة طبيعيّة ذات جوهر ثابت بيولوجيا إلى مفهوم ثقافيّ ، ومن ذلك أصبح الجسد الأنثويّ كائنا لغويا يناقض التصوّر الذهنيّ الذّكوري المنغرس في الوجدان الثّقافيّ والّذي يقدّم الأنثى باعتبارها كائنا غير لغويّ ويصفها فقط بالجسد الشّهيّ ذي القيمة الخرساء ، ذلك النّسق في المجتمع العربيّ يعتبر بمثابة شرط وجوديّ ثقافيّ ، الخروج عليه تفقد معه الأنثى موقعها المؤنّث....ولهذا لم يكن العقل العربيّ البطريكيّ ينتظر من أيّ كاتب يحمل جسدا أنثويّا أن يبدع عبر اللّغة ، فالرّجل جسد وعقل والمرأة جسد وشهوة ، ولذلك جعل من فصاحة المرأة سلاطة لسان وثرثرة..."[20].

لكن بالقلم فقط والكتابة استطاعت المرأة أن تخرج من القوقعة الّتي وضعها فيها الرّجل دون تساؤل عن عقلها وقدراتها وإبداعها وحاجاتها...لقد " أصبح عبور المرأة لعالم الفنّ /الكتابة ، محاولة للتّواجد كجسد ، وبذلك أنتجت المرأة الكاتبة جسدا لغويّا كشف دواخلها وأعماقها النّفسيّة ، مع العلم أنّ ما تكتبه المرأة يبقى دائما هو المعبّر الأسّاسيّ عن كينونة نسائيّة ضمن وضع مشمول بالضّغط الاجتماعيّ والثّقافيّ ، شكّل نظرا لقوّته بنية ونسقا ، تحدّد معه مسبقا الدّور الّذي سيلعبه كلا الجنسين ، حيث لا يمكن للكتابة بالجسد الأنثويّ أن تكون إلاّ ناطقا رسميّا عن تلك الكينونة خارج منطق الجبريّة البيولوجيّ الّتي تعتمد التّكوين الجنسيّ معيارا للقيم الثّقافيّة ."[21]

ويرتبط الجسد الأنثويّ كواقع ثقافيّ بالخطاب اللّغوي بشتّى أنواعه وتعدّ اللّغة أفضل وسيلة للتّعبير عن مكنوناته من أحاسيس وأفكار .

5/الجسد والمتخيّل :

كثيرا ما يتقاطع لدى الإنسان الواقعيّ والخياليّ في حياته و إبداعه وأحلامه ، و" المخيّلة هي مصنع الصّور المتخيّلة ، وهي أيضا مصنع التّمثلات المتخيّلة ، والخيال البشرّي (fiction) هو الفضاء الّذي تتحرّك فيه الصوّر القادمة من العالم الخارجيّ بحثا عن مستقرّ تمثيليّ لها . ولذلك ، يمتلك المخيال البشريّ أو جهاز الإنسان التخيليّ ، ملايين الصّور عن كلّ جسم نابض أو جامد مرّ على الرّوائيّ في سنوات عمره ، وهي الصّور الّتي تتدرّج كمخزون ورأسمالي خياليّ في ذاكرته ".[22] وتتدخّل الثّقافة باختلاف طبوعها لتشكّل الخيال لدى الإنسان ؛ إذ " لا تفصل الرؤية الشرقية بين الجسد والإنسان ولا تفصم بين الإنسان والكون ، إنّ الجسد على اتّصال دائم بالكون والمكان الّذي يحلّ به ويندمج فيه وهي صلة رمزيّة ، تخالف الصّلة العقلانيّة الميكانيكيّة في عالم اليوم ." [23]

والإنسان العربيّ كثيرا ما ارتبط بالمكان بما فيه من كائنات ، ووضع لها تصوّرا في مخيّلته كما يروقه ويتذوقه ، حتّى وإن كان مطلبا جماليّا لا يتحقّق و" لا مندوحة أنّه إبّان الانقلاب (upheaval) الأبويّ " الذّكوريّ" على العهد الأموميّ " الأنثويّ" سقطت أسطورة الجسد المسؤولة عن عمليّة التّخصيب الأزليّ في فلسفة الوجود ، وحلّت بدلا عنها أسطورة العقل ، الّذي نصّب نفسه مسؤولا عن مقدّرات الحياة ، بوصفه المشرعن الوحيد لحقّ التملّك، ولعلّ الاحتفاء بالعقل ، قد أتى من قدرة الرّوح على تجاوز قدرة الجسد الفاني ، وظهور أسطورة البدء المقدّس الّذي رأى في عالم الأنوثة ، أنّها مجرّد جسد مدنّس في بنائه الخلقيّ ، وأنّ الذّكورة روح مقدّسة في بنائية خواصها العضوية ، فأسفر هذا التّصنيف عن خلق عالميّ الضّلالة والحكمة على قدر سواء ، وما تلاهما من ألوان الصّراع المحكوم بينهما عقب مراحل تاريخية جدّ قاسية. "[24]

كثيرا ما تخيّل الإنسان السّعادة الأبديّة والعودة إلى الجنان المفقود و العيش بسلام و " العراء والدّعوة إليه رمز إلى الجسد المقدّس حين كان يمارس اللّذة في الجنان لا يغطّيه ثوب ولا يحميه مخيط " [25] وما الاعتقاد بأنّ الجسد مدنّس بنزوله إلى الأرض وغضب المولى عليه إلاّ مقولة خاطئة ناتجة عن مخيّلة الإنسان ، ف " الجسد ليس مدنّسا كما ذهب مفسّروا الأديان التّقليديون ، وفي الوقت نفسه ليست آلة تستهلك أو موطنا للذّة زائلة كما تقرّ المجتمعات الماديّة الحديثة ." [26]

قد يعدّ الجسد عند بعض منّا " ثكنة يمارس فيها الكائن الحداثيّ ثورته على ذاته ، فمن خلال الجسد تتحدّد الرّؤية لعالم ينجذب كرها إلى الانتشاء بالرّوح ، وحين يلقي الجسد ظلاله على ثنائية المفتوح والمغلق تستيقظ فينا كلّ أشكال التّعاطي مع الجسد الأنثويّ المتخيّل ، وتتحرّك كلّ الاستيهامات الّتي تستدعي الكمال الفيزيقيّ للجسد ودلالة الجمال الموضوعة بين العريّ التّام للجسد وبين المقابلة بين الجسد المفتوح والجسد المغلق ، بالرّغم من أنّ الجسد المغلق يستفزّ كلّ العوالم الدّلالية والنّقدية : البنيويّة و السّيميائية و التّفكيكية ."[27]

تتحوّل تيمة الجسد إلى نصّ مفتوح أمام المناهج النقدية باختلاف اتّجاهاتها ، وتعطي دلالاتها الحاملة لمعان متعدّدة مادة يتشّكل منها نصّ إبداعيّ آخر أو نقديّ ، و" يشكّل الجسد في التّمثلات التّخيليّة والقصصيّة مكانة متميّزة ، لا يمكن بتاتا إختزال كينونة المرأة في الجسد فقط ، دون إغفال عالمها النّفسيّ والشّعوريّ والعقليّ والاجتماعيّ ، وإلاّ تحوّل الجسد إلى بضاعة يتعمّق معها الإقصاء الثّقافيّ ، وتستجيب المرأة له بشكل لا شعوريّ ، وتسعى للاحتفال بجسدها بوصفه حاملا للذّة ، وترى نفسها جسدا مثيرا فقط ."[28]

لقد اتّخذت تيمة الجسد في هذه الدّراسة دلالات لا تعدّ ولا تحصى ، بل لانكاد نمسك لها معنى محدّد ودقيق وذلك بسبب وجوده " في كلّ مكان بوصفه كينونة إفتراضيّة قابلة للحضور و إعادة الإنتاج عندما تكون موضوعا للإدراك وفهم الإنسان ، موضوعا قابلا للتشكّل بواسطة مخيّلة البشرّية ، سواء في الحياة اليوميّة المعتادة أم في أنظمة وأنساق الإنتاج الإبداعيّ الخلاّق ."[29]

6/الجسد والرّواية :

يمثّل " الجسد في الرّواية النّسائيّة عمقا جغرافيا ، وأسطوريّا ، وتاريخيّا ، وجماليا ، كما يمثّل هاجس الرّواية ونواتها الحكائيّة ، حيث تتشكّل من حضور الجسد ، كمؤثر دلاليّ وإيقاعيّ ، يتّكئ عليه السّرد ، وحتّى تتمّ عمليّة الخصوبة والنّماء والتشكّل والصّيرورة ، لابدّ من وجود الآخر ، لتكتمل عمليّة التّلقيح ويتّم للسّرد وجوده ودوامه ."[30] وكما أشرنا سابقا فالجسد ليس " كيانا محايدا في تكوينه الشّخصيّ أو الجماعيّ ، الجنسيّ والوعي الاعتباريّ واليوميّ ، إنّه كينونة مسكونة بالدّلالات الكبرى ."[31] لا سيّما إذا كان الجسد جسد أنثى فهو جسد النصّ ، والجسد الأنثويّ " ومن خلال العمل الفنيّ مفتوح على كلّ

الاحتمالات الممكنة للتّأويل ، ومن ذلك تأخذ الأشياء العاديّة والمألوفة في حياتنا اليوميّة ، نكهة خاصّة في العمل السّرديّ ، فيصبح المتلقّي مشاركا في بناء النصّ وحلقة لابدّ منها لخلق التعدّد المفترض للعمل الأدبيّ ."[32] الّذي لا يقبل ضيق الأفق وأحاديّة الرّأي ، وتوظيف المرأة للجسد في روايتها بات من الأمور البديهيّة الّتي لا يستغني عنها سردها إذ " الجسد في الرّواية النّسائية ، يمثّل فضاء عنكبوتيا ، تمتدّ خيوطه إلى جميع العوالم السّرديّة الأخرى ، فجغرافيّة الجسد هي جغرافية النّص ، واستبطان الجسد الأنثويّ هو استبطان للفضاء النّصيّ، وتمثّل لخصائصه ."[33] فالمرأة حين تسرد تضع جسدها في مواجهة جسد اللّغة و "حين ينكتب الجسد على النصّ ، يتحوّل إلى ذات نصّانيّة مزوّدة بمؤشّراته التّأويليّة الّتي تسهم في بنائه ، كما يفعل السّرد ، ويفجّر المدلولات الموازيّة الّتي تستدعي التّأويل ، من خلال إثارة المتلقّي في تتبّع تلك المعاني المبثوثة في نسيج النصّ الّذي تختلط فيه أسئلة الجسد بأسئلة الكتابة ."[34]

7/ الجسد والقصيدة :

كثيرا ما تغنّى الشّعراء بالجسد ، فوصفوا ما تراه أعينهم وتطرب له كلماتهم ، كما وصفوا المتخيّل منه وما تعتقده عقولهم من صوّر محبّبة فيه ، " حضور الجسد في مجال الشّعر العربيّ عموما فهو الّذي تغنّى الشّعراء به حتّى عشقه المتأمّلون وكان في كلّ قصيدة أو وصف ، فقد كان الجسد خطابا يشكّله الوعيّ وتعبيرا عن الذّات وتظاهرا آنيا لها ، إنّ الوعيّ الشّعريّ العربيّ أولى عنايته بالجسد بوصفه حضورا للمعنى بدلالاته التّعبيريّة الّتي تنبع من الفنّ ."[35]

الشّعر ديوان العرب ، لولاه لبادت أمّة العرب وما عرفت مآثرها وعاداتها وفنونها وحضارتها ، لذلك غدت " القصيدة مكان الذّات الّذي تتجسّد من خلاله رؤاها ومعلناتها وأحاسيسها في علاقاتها بالكون والكائنات ، فالقصيدة مكان الذّات إذ تتموضع في اللّغة وتجد فيها سكنها ، ومن خلال هذا التموضع تجد الذّات ، أو تحاول أن تجد هويّتها ، وهذه الهويّة مع الهويّة الماديّة الجسدية هويّتان تتحرّكان في جسد العالم وفضاءات المكان ، وهو تموضع وجوديّ حتميّ ؛ لأنّ المكان الأكبر (الأرض/الوطن) يملك هويّته ، ويفرض خطابه الاجتماعيّ والثّقافيّ والحضاريّ في علاقة هيمنة وتملّك ."[36]

من جسد المرأة تتشكّل القصيدة ويتشكّل العالم لذلك احتلّت المرأة مكانة شاسعة في الشّعر العربيّ منذ القديم ، " فصارت عنصرا مهّما للجمال المشّع بالأنوثة والخصوبة بعد أن اختلطت صورتها بالصّورة الكونيّة المحيطة بالشّاعر لتشكّل أنموذجا متخيّلا من خلال حلقة الرّبط بين صور الطّبيعة وجسد المرأة الحامل للجمال المطلق الّذي وظّفه الشّاعر بشكل صوريّ جاعلا منه محملا للخصوبة والامتلاء و الباثّ للمعاني الجماليّة الّتي أكسبته صفات الطّبيعة الخالدة المليئة بالحيويّة والفاعليّة مبيّنا من خلال حبّه للحياة وتفاعله مع الطّبيعة ذاتها ومع أجمل موجوداتها وهي (المرأة) الّتي تمنح الرّجل رحيق الحياة والوجود ."[37]

تبحث المرأة وهي في قمّة عطائها عن ذاتها ، وهكذا تقع ذاتها بين توتّرين " كلاهما مستحيل الإرضاء : توتّر الجسد ، وعلاقات المجتمع ، وبقدر ما يخضع كلامها للرّقيب ، يكتب وعيّها ، الجسد والوعيّ متناقضان هنا ، بل متصارعان ، من هنا يأتي النصّ النّسويّ واقعا في شراك مأزق لا فكاك منه ... تلك هي حركة التّوتر المتصاعدة والمتردّية في آن ، داخل الذّات الشّاعرة في القصيدة ، وتلك هي أهمّ ملامح النّصوص النسويّة الهادفة إلى تحقيق كتابة الجسد . "[38] و مادام للمرأة وعيّ ، فهي لا تكتب جسدها دائما ، بل قد تكتب وعيها أيضا ، لكن يبدو أنّ الشّعر لا يريد منها الوعيّ لكتابة نصّ نسويّ متميّز وسمه الرّجل بسمة كتابة الجسد .

ولمّا فطر الإنسان على حبّ الجمال ، كان من البديهيّ أن ينفر من كلّ قبيح و" لأنّ المرأة هي الوجود المتحقّق بفعل الحبّ المجسّد للأمل والتّفاؤل بالحياة فحضورها يملأ الحياة عاطفة ويحقّق الأحلام وغيابها يثير الكون حرمانا ."[39] فيتحوّل جسدها لدى الشعراء مطلبا جماليا يخلق القصيدة في أبهى تشكّلاتها الدّلالية والتخيلية ، " وضمن هذا الإطار أيضا نجد أنّ تحويل الجسد شعريّا إلى خطاب يستحضر جميع معاني الجمال الحسيّ دليل على اتّجاه الوعيّ الشّعريّ العربيّ للتفكير العميق في هيئة الجسد الّتي حاول استيعاب تشكيلها الجماليّ المرتبط بحسيّة الشّعر بما يقابلها من مظاهر الطّبيعة وصوّرها الجماليّة .[40]

الجسد قصيدة بعدما كان رواية وقد يكون نصا آخر لا يكتبه إلاّ مبدع بارع في استحضاره على الورقة وممارسة عليه شتّى أنواع المراوغة ، و" الشّاعر إذ تمتدّ يده لفضاء الورقة وأفق المكان يزاحم بجسدين ، بجسده العيّانيّ الإنسانيّ وبجسده اللّغويّ المتشكّل . إنّه يخلق جملة من العلاقات المضاعفة في المكان وفيما حوله ، وبالتّالي هو مركز جدل وحقل حيويّة متحرّك وفاعل ومغيّر في جسد العالم وجسد اللّغة ".[41] وعن ارتباط الجسد بالمكان تؤكّد فاطمة الوهيبي " إنّ الحديث عن المكان أيضا هو بالضّرورة حديث عن الجسد ، وبما أنّ الجسد حيّزنا الخاص في المكان والعالم ، فهو ما إن ينوجد في المكان حتّى يكون قد اشتبك في جدل العلاقة بالمكان . ومجرّد الوجود وأخذ حيّز ما في المكان علاقة وهو لغة ، وهو بداية سلسلة من التّفاعلات .[42]

ممّا تقدّم يمكننا أن نستنتج أنّ تيمة الجسد في خطابنا النّقدي العربيّ المعاصر وظّفها النّقاد بدلالات مختلفة يصعب حصرها حيث أخذت معنى الجسم والذات بنوعيها الذّكوري والأنثويّ ، والعالم الّذي يضمّهما بل ألفيناها تطلق على مايؤثّث الفضاء و المكانّ ، كما قسّم الجسد إلى جسد دينيّ واجتماعيّ وشخصيّ ومنه المقدّس والمدنّس حسب المخيّلة الإنسانيّة ، وقد يطلق على الأجناس الأدبيّة من رواية وشعر فهو ذو دلالة زئبقيّة يصعب الامساك بها وتحديدها بدقّة أو معرفة طريقة توظيفها في خطابنا النّقدي العربيّ المعاصر .

8/الهوامش :

-(1) ابن منظور : لسان العرب ، المجلّد الثّالث من الهمزة إلى الهاء ، باب : جسد ، دار صادر، بيروت، لبنان ، (د ط) ، (د ت) ، ص120.

-(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

-(3) إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ : الصّحاح ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة ، تح : أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط03 ، 1984 ، ص456 .

-(4) سهيل إدريس و جبّور عبد النّور ، المنهل الوسيط (قاموس عربيّ فرنسيّ) ، دار الآداب ، دار العلم للملايين ، ط04 ، 1981 ، ص213 .

(5)-Dictionnaire Français Larousse , Librairie Larousse , Paris ,2014 ,p145.

-(6) السّباعي خلّود : الجسد الأنثويّ و هويّة الجندر، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، الرّباط ، المغرب ، ط02 ، 2007 ، ص 17 .

-(7) رسول محمّد رسول : الجسد المتخيّل في السّرد الرّوائيّ ، النايا للدّراسات والنّشر والتّوزيع ، لبنان-سوريا، ط01 ، 2014 ، ص19 .

-(8) المرجع نفسه ، ص20 .

-(9) فريد الزّاهي : الجسد والصّورة والمقدّس في الإسلام ، إفريقيا الشّرق ، المغرب ، ط02 ، 2010 ، ص40 .

-(10) عبد النّور إدريس : النّقد الجندريّ ، تمثّلات الجسد الأنثويّ في الكتابة النّسائيّة ، فضاءات للنشر والتّوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط01 ، 2013 ، ص165 .

-(11) السّباعي خلّود : الجسد الأنثويّ وهويّة الجندر ، ص20 .

-(12) عبد النّور إدريس ، النّقد الجندريّ ، تمثّلات الجسد الأنثويّ في الكتابة النّسويّة ، ص 32 .
-(13) السّباعي خلّود : الجسد الأنثويّ وهويّة الجندر ، ص20.
-(14) المرجع نفسه ، ص19 .
-(15) عبد النّور إدريس : النّقد الجندريّ ، ص166 .
-(16) عبد النّور إدريس : دلالات الجسد الأنثويّ في السّرد النّسائيّ العربيّ ، منشورات سلسلة دفاتر الاختلاف ، مطبعة سجلماسة ، مكناس ، المغرب ، ط01 ، 2006 ، ص24.
-(17) المرجع نفسه ، ص75 .
-(18) عبد النّور إدريس : النّقد الجندريّ ، ص165 .
-(19) السّباعي خلّود : الجسد الأنثويّ وهويّة الجندر، ص18.
-(20) عبد النّور إدريس: النّقد الجندريّ ، ص168 .
-(21) الأخضر بن السّايح : سرد الجسد وغواية اللّغة ، قراءة في حركيّة السّرد الأنثويّ وتجربة المعنى ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط01 ، 2011 ، ص08 .
-(22) رسول محمّد رسول : الجسد والمتخيّل في السّرد الرّوائيّ ، ص60 .
-(23) جلال الرّبعي : أسطورة الجسد ، (في حديث أبو هريرة قال ...) ، لمحمود المسعدي ، دار نهى للطّباعة والنّشر ، صفاقس ، تونس ، ط01 ، 2006 ، ص17 .
-(24) منير الحافظ : الوعيّ الجسديّ ، الإشارات الجماليّة في طقوس الخلاص الجسدي ، النّايا ، دمشق ، سوريا ، ط01 ، 2012 ، ص18 .
-(25) جلال الرّبعي : أسطورة الجسد ، ص43 .
-(26) المرجع نفسه ، ص46 .
-(27) عبد النّور إدريس : دلالات الجسد الأنثويّ ، ص98 .
-(28) عبد النّور إدريس : النّقد الجندريّ ، ص169 .
-(29) رسول محمّد رسول : الجسد المتخيّل في السّرد الرّوائيّ ، ص23 ، 24 .
-(30) الأخضر بن السّايح : سرد الجسد وغواية اللّغة (قراءة في حركيّة السّرد الأنثويّ وتجربة المعنى) ، ص98 .
-(31) إبراهيم محمود : زئبق شهريار : جماليّات الجسد المحظور ، دار الحوار ، اللّاذقيّة ، سوريا ، ط01 ، 2012 ، ص165 .
-(32) عبد النّور إدريس ، دلالات الجسد النّسائيّ العربيّ ، ص 06 .
-(33) الأخضر بن السّايح : سرد الجسد وغواية اللّغة (قراءة في حركيّة السّرد الأنثويّ وتجربة المعنى)، ص128 .
-(34) المرجع نفسه ، ص89 .
-(35) محمّد محمود حسين : شعريّة الجسد (عصر صدر الإسلام – العصر الأمويّ ، فحص أثر الجسد في شعر هذين العصرين) ، دار مجدلاوي للنشر والتّوزيع ، ط01 ،2013 ، ص13 .
-(36) فاطمة الوهيبي : المكان والجسد والقصيدة (المواجهة وتجلّيات الذّات) ، المركز الثّقافيّ العربيّ ، لبنان ، المغرب ، ط01 ، 2005 ، ص43 .
-(37) محمّد محمود حسين ، شعريّة الجسد(عصر صدر الإسلام-العصر الأمويّ) ، ص72 .
-(38) مجلّة فصول ، خضر عطيّة : جسد الأنثى في مدوّنة الشّاعرة ضحى بوترعة ، قراءة ذكوريّة ، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ، ع 79 ، شتاء –ربيع 2011 ، ص127 .
-(39) محمّد محمود حسين : شعريّة الجسد(عصر صدر الإسلام ، العصر الأمويّ) ، ص97 .
-(40) فاطمة الوهيبي : المكان ، الجسد والقصيدة ، ص53 .
-(41) المرجع نفسه : ص31 .
-(42) المرجع نفسه : الصّفحة نفسها .

9/ قائمة مصادر ومراجع الدّراسة :

***المصادر :**

1-إسماعيل بن حمّاد الجوهري : الصّحاح : تاج اللّغة وصحاح العربيّة ، تح : أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط03 ،1984 .

2-سهيل إدريس وجبّور عبد النّور : المنهل الوسيط (قاموس عربي فرنسي) ، دار الآداب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط04 ، 1981 .

3-ابن منظور : لسان العرب ، المجلّد الثالث من الهمزة إلى الهاء ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (دط)، (دت) .

4-Dictionnaire français larousse , librairie , paris , 2014 .

***المراجع :**

5-إبراهيم محمود : زئبق شهريار(جماليات الجسد المحظور) ، دار الحوار ، الآذيقيّة ، سوريا ، ط01 ، 2012 .

6-الأخضر بن السّايح : سرد الجسد وغواية اللّغة ،(قراءة في حركيّة السّرد الأنثوي وتجربة المعنى) ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط01 ، .2011

7-جلال الرّبعي : أسطورة الجسد (في حديث أبو هريرة قال.. لمحمود المسعدي) ، دار نهى للطّباعة والنّشر ، تونس ، ط01 ، 2012 .

8-رسول محمّد رسول : الجسد المتخيّل في السّرد الرّوائي ، النّايا للدّراسات والنّشر والتّوزيع ، ط01 ، 2014 .

9-السّباعي خلّود : الجسد الأنثويوهويّة الجندر ، دار القلم للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، الرّباط ، المغرب ، ط02 ، 2007 .

10-عبد النّور إدريس : النّقد الجندري ، تمثّلات الجسد الأنثوّي في الكتابة النّسائيّة ، فضاءات للنّشر والتّوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط01 ، 2013 .

11-عبد النّور إدريس : دلالات الجسد الأنثويّ في السّرد النّسائيّ العربيّ ، منشورات سلسلة دفاتر الاختلاف ، مطبعة سجلماسة ، مكناس ، المغرب ، ط01 ، 2006 .

12-فاطمة الوهيبي : المكان والجسد والقصيدة (المواجهات وتجليّات الذّات) ، المركز الثّقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط01 ، 2005 .

13-فريد الزّاهي : الجسد والصّورة والمقدّس في الإسلام ، إفريقيا الشّرق ، المغرب ، ط02 ،2010

14-محمّد محمود حسين : شعريّة الجسد (عصر صدر الإسلام-العصر الأموي ، فحص أثر الجسد في شعر هذين العصرين) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط01 ، 2013 .

15-منير الحافظ : الوعيّ الجسديّ(الإشارات الجماليّة في طقوس الخلاص الجسدي ، النّايا ، دمشق ، سوريا ، ط01 ، 2012 .

16-مجلة فصول : خضر عطيّة : جسد الأنثى في مدونّة الشّاعرة ضحى بوترعة ، قراءة ذكورية ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، ع 79 ، شتاء-ربيع 2011 .